# أثر عوامل القوة والضعف في هندسة المستوى الصوتي ومجالاته

م.د. انتصار سالم إبراهيم / الكلية التربوية المفتوحة

**ملخص البحث:**

يستمد هذا البحث أهميته من جهةٍ، من علم الأصوات، فيعدُّ علماء اللغة المحدثون دراسة الأصوات أول خطوة في أيةِ دراسة لغوية؛ لأنّها تتناول أصغر وحدات اللغة، ألا وهي الصوت، الذي يمثل المادة الخام للكلام الإنساني، ومن جهة أُخرى، يستمدها من إسهامه في بلورة نهج جديد العهد، في دراسة النص ونقده، يستمد أصوله من علم الأصوات، ليحقق قدرة أكبر على تفسير النص المدروس وفهمه.

وتأتي أهمية البحث كذلك، مما قدّمه من إضاءات جديدة، يثرى بها علم الأصوات من جهة، وتحليل النص الصوتي من جهة أُخرى، وبيان قوة الملمح التمييزي أو ضعفه من الناحية العلمية.

لم تكن هذه الدراسة لتقوم، إلاّ بما هداني الله سبحانه وتعالى إليه من دراسات قيّمة سابقة في المضمار ذاته، مهّدت لي الطريق، مثل كتاب الدكتور إبراهيم أنيس (موسيقى الشعر)، وكتاب الدكتور علي يونس (نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي.

- **الصوت الإنساني:**

الصوت في مفهومه العام، هو ظاهرة فيزيائية نفسية سمعية، ومن هذا المنطلق، يكون الصوت أنواعاً، منه الطبيعي، والاصطناعي، والآلي، واللغوي الإنساني، كما أن الصوت رفيق الإنسان في جميع مراحل حياته، من ولادته حتى وفاته، وعند الفقهاء يرث المولود إذا استهلَّ صارخاً، وفي ذلك قالوا: " المولود الذي تضعه أمه ميتاً فلا يستهل صارخاً عند الوضع لا يرث ولا يورث "[1]، وقد أوصى الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بالآذان في أذن المولود عند ولادته، فكان الصوت أول ما يصدره المولود، والصوت أول ما يستقبله المولود، فبالصوت يثبت الإنسان وجوده، وبالصوت يثبت أحقيته في الحياة، وفي انقطاعه، إيذان بانتهاء حياة الإنسان حين النطق بالشهادة إن وفقه الله إلى ذلك، وتكون الشهادة آخر صوت يصدره الحي في حياته[2]، وفوق كل ذلك، تُعدُّ اللغة الإنسانية الراقية أصواتاً " يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم "[3]، والتعبير عملية إرسال واستقبال بين الموجودات الناطقات، وبهذا يكون الصوت الوسيلة الأساسية الراقية للإيصال والتواصل بين العقلاء.

وبهذا أيضاً، تكون للصوت الأهمية البالغة في الدراسة اللغوية الإنسانية، وفي العملية التعليمية، وفيه قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4]، والبيان هو الإظهار والوضوح عما في الأفكار، وأحسن وسيلة للبيان هو الصوت، كما أنَّ أول آية نزلت من الله تعالى إلى سيد البشرية النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، هي: (أقرأ)، والقراءة صوت، والكلام حروف، والصوت غير الحروف[4]، ومن كل هذا وفي غير هذا يكون الصوت علامة الوجود والعدم، وإذا كان الله تعالى أمر بالصوت في أول اتصال

بالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فمن الأوْلى أن تكون العناية بالصوت اللغوي الاعتماد عليه، قبل الشروع في الدراسة اللغوية، ويكون الصوت أول مستوى من مستوياتها، وإذا كان هو كذلك، فكل إغفال عنه أو إهمال له، ينجم عنه عدم الدقة في التعبير، والغموض في الإرسال، والعجز عن البيان، ومن معجزات القرآن الكريم حسن البيان.

قبل الشروع في حديث الدراسة الصوتية من حيث مستوياتها ومفاهيمها، نشير إلى أنه لا بُدَّ من إقامة الفرق والتقسيم في كل دراسة بما يتطلبه ذلك، ولا يكون التقسيم من أجل التفريع والتشتيت، وإنّما بهدف الترتيب، والتنظيم لعناصر البحث والدراسة، ومما تقتضيه الدراسة الصوتية من تقسيمات، هو النظر إليها من جانبي الإفراد والتركيب، ومن ثمة فالدراسة الصوتية قسمان:

- قسم يبحث في الصوت اللغوي بحثاً فيزيولوجياً عضوياً، وفيزيائياً نفسَياً، ويعرف هذا التوجه بتحديد المخارج والصفات، ويقف بوصف الصوت منعزلاً عن السياق، وتسمى هذه الدراسة علم الأصوات، وهي أول نظرة تبناها القدماء.
- وقسم ثانٍ، يبحث في الصوت اللغوي داخل التراكيب الإفرادية والسياقية، ويراقب أثرها وتأثيرها في المباني اللغوية، وله عدّة أسماء منها: الصوتيات، وعلم الأصوات الوظيفي، والصوت التشكيلي، والتحولات، أو التبدلات الصوتية، ومجاله المفردات غالباً، وأشهر موضوعاته التماثل في الإدغام، والتجانس في الإبدال، والانسجام في القلب، والتقريب الصوتي في الإمالة، والتخفيف في الهمزة.

- **مفهوم المجال والمستوى:**

لعلَّ أقرب تحديد لمفهوم المجال والمستوى، هو أنَّ المستوى رتب محفوظة، والمجال علاقات متجاورة تراعى، فالمستوى يحمل قيمة حسابية غالباً، سواء أكانت تلك القيمة مادية أم معنوية، ومن ثمة كان رتبة تابعة ومتبوعة، ففي قولنا هذا: مستوى ثالث، مثلاً يقتضي وجود المستوى الثاني السابق له حتماً، ومن هنا فهو تابع واقع، بينما وجود المستوى الرابع من بعده، هو توقع واحتمال؛ قد يتحقق وقد لا يتحقق، ومن ثمة يكون المستوى بين مستويين غالباً ما قبله واقع، وما بعده متوقع.

بينما يتحدد المجال، بأنّه علاقات تجاورية غير رتبية، ومن ثمة يحتوي كل مستوى على عدّة مجالات، ثم يتفرع المجال إلى موضوعات، ويُعدُّ الصوت اللغوي أول مستوى من مستويات الدراسة اللسانية، وهو متبوع غير تابع؛ لأنّه أول، وقيمة العدد الأول هو واحد، والعدد يبدأ من الصفر، والواحد الأول هو متبوع غير تابع؛ لأنّه لا شيء موجود قبله غير الصفر، والصفر قيمة عددية عدمية، سلبية[5]، ويبقى للمستوى الصوتي مجالات وموضوعات أهمها ثلاثة: أولها مجال الصوامت، وثانيهما مجال الصوائت، وثالثها مجال الوحدة الصوتية القاعدية، وهو المجال الذي يلتقي فيه الصامت بالصائت.

كان الصوت اللغوي ولا يزال يتألف عند بعض الدارسين من شقين أساسيين: واحد فيزيولوجي عضوي، يسميه المتخصصون المخرج، وآخر فيزيائي نفسَي يسمونه الصفة، ولا يتحقق وجود الصوت اللغوي إلاّ بوجود الشقين معاً، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، وينبغي أن نشير هنا إلى الفرق بين مفهوم الصفة عند النحاة، وفي مجال الأصوات، فهي عند النحاة منطوق مشتق أو مؤول بالمشتق، يؤتى به لتوضح المعارف، وتخصيص النكرات[6]، والصفة تابعة

للموصوف في أصلها، وقد يستغنى عنهما؛ بينما هي في المجال الصوتي قسيم الذات، ولا يستغنى عنها، وينجم عن انعدامها خلط في الذوات.

إذا حاولنا تحديد وظيفة كل شق، أمكننا القول: المخرج يحدد الصوت، والصفة تظهر هيئته، ويكون للمخرج تحقيقاً والصفة تلويناً، وفي ذلك قال المتخصصون: " معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار، ومعرفة الصفة بمنزلة المحك والمعيار "[7]، ولا وجود للصفة إلاّ بعد تحقيق الذات الموصوفة، ومنها تكون الصفات تابعة للمخارج، وكل منهما يُعدُّ مجالاً من مجالات الدراسة الصوتية.

- **مجالات الصوت اللغوي:**

**المجال الأول/ المخارج**

المخرج لغةً: هو موضع يمر منه جسم متحرك على اختلاف الأجسام، ومما يقتضيه الخروج أن يكون الجسم الخارج موجوداً قبل موضع الخروج، ويترتب عن هذا المفهوم أن يكون الصوت موجوداً وجوداً حقيقياً قبل خروجه من مخرجه، وهذا غير كائن وإنما يمكن أن يقال في المخرج هنا إنه موضع ولادة وحدوث، وليس موضع خروج وانتقال[8]، وإذا قال الدارسون مخرج الصوت، فإنما هم يقصدون بذلك موضع حدوثه وانتقاله معاً، وبعض الدارسين يسمون المخارج مواقع الحدوث[9]، وفي تحديد عدد المخارج اختلاف.

ولئن اتفق الدارسون أو اقتربت آراؤهم على تسمية موضع حدوث الصوت بالمخرج، فلم تتوحد آراؤهم حول عدد المخارج، ولعلَّ أول من تعرض لدراسة الصوت اللغوي في التراث العربي هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) في كتابه العين، وفيه ذكرَ ثماني مخارج، وجاء من بعده تلميذه سيبويه (ت 180هـ)، فوصل بالعدد إلى ستة عشر مخرجاً، قال: " والحروف العربية

ستة عشر مخرجاً"[10]، وعلى تقسيم سيبويه سار معظم الدارسين اللغويين القدماء، وتوقف المحدثون عند عشرة مخارج[11]، واختلف القراء في العدد[12] ما بين أربعة عشر وسبعة عشر مخرجاً، ولكل عدد علله وتعليلاته، مع التنبيه إلى أنَّ القرّاء لم يعيروا للمخارج من العناية ما أعاره للصفات، ولعلَّ أول مَنْ اهتم بالمخرج الصوتي، وحاول تحديده هو أبو الأسود الدؤلي، قام بأول عملية في ضبط المصحف المرتل؛ وذلك يفهم من حديثه وإن لم يصرّح به، مع الإشارة إلى أنَّ معظم اللغويين القدماء إن لم يكونوا كلهم كانوا قرّاء، والاهتمام بالصوت اللغوي حمل لواءه القرّاء، واتخذ اللغويون منه جانب التقعيد لحل مشاكل التحولات التي تصيب المباني الإفرادية[13].

هذا حديث المخرج، من حيث مفهومه ووظيفته وتعداده في الدراسات العربية، وتبقى نظرة أخيرة إليه وهي هل العدد يطابق المعدود؟ فإذا كان مجموع عدد الصوامت العربية ما بين ثمانية وعشرين، وتسعة وعشرين صوتاً على ما صرّح به المتخصصون، فإنَّ عدد المخارج كان ينبغي أن يكون مطابقاً لعدد الصوامت، وقد تنبّه أبو عثمان الجاحظ (ت 255هـ) إلى هذا وذكره في كتابه البيان والتبيين[14].

انتهت التقسيمات الصوتية عند الدارسين المحدثين إلى ما يشبه الاتفاق على عددها، وهي عشرة مخارج[15]:

1- أقصى الحلق؛ للهمزة والهاء والصوائت القصيرة والطويلة.
2- وسط الحلق للعين والحاء[16].
3- أقصى الحلق للعين والخاء.
4- اللهاة للقاف والكاف.
5- الشجر للجيم والياء والشين[17].

6- الذلق للام والراء والنون[18].

7- النطع للطاء والدال والتاء.

8- الأسلة للصاد والزاي والسين.

9- ما بين الأسنان، للظاء والذال والثاء.

10- الشفتان للميم والواو والفاء والباء.

وتأسيساً على ما سبق، نرى أنَّ عدد مخارج الأصوات اللغوية العربية غير مطابق لمعدوده، وأن الدارسين تحدثوا عن وصف مجموعات صوتية في مجموعة أحياز من الجهاز النطقي، وكان حديثهم عن الأصوات ومخارجها حديث مجموعات متجاورة لبعضها، وليس حديث وحدات صوتية مستقلة بذاتها يراعى فيها جانباها الفيزيولوجي والفيزيائي.

**المجال الثاني/ الصفات النفسَية الفيزيائية**

الصفة توجد بعد الموصوف دائماً، على ما أسلفناه، وصفة الصوت اللغوي تتحقق له بعد ظهوره في موضع حدوثه، وليست صفة الصوت تابعة له بعد وجوده بقدر ما هي عاملة في تحديد وجوده، كما أن صفة الصوت اللغوي متعددة الجوانب، يمكن حصرها في ثلاثة: أساسية، وثانوية، وفارقة تمييزية؛ ولكل صفة من هذه الصفات وظيفة وغاية.

يتولد الصوت في موضع من مواضع الجهاز النطقي، ابتداءً من أقصى الحلق وانتهاءً بفتحتي الأنف والشفتين، وفي هذا الجهاز يتخذ الصوت صفاته، ومن هذه الصفات ما تشترك فيها مجموعتان صوتيتان، أو مجموعة واحدة، أو صوت واحد.

- **الصفات الأساسية:**

هي التي يتخذها الصوت اللغوي في أعلى الحنجرة بعامل الوترين الصوتيين، فمن الأصوات ما يهتز معها الوتران اهتزازاً قوياً، وتسمى مجهورة، ومنها ما يضعف ويقل أو ينعدم، وتسمى مهموسة، وليست الأصوات المهموسة خفيفة ضعيفة كما يزعم بعضهم، وإنما هي ثقيلة صعبة في الأداء، والأصوات المهموسة عشرة في رأي الكثير من الدارسين القدماء والمحدثين[19]، وجمعها بعضهم في عبارة (ستشحثك خصفة)، وجمعها آخرون في عبارة (سكت فحثه شخص)[20]، وأضاف إليها بعض المحدثين صوتي الطاء والقاف[21]، وبقية الأصوات كلها مجهورة. وللتأكيد على أن الأصوات المهموسة ليست ضعيفة، نسوق مثالين؛ الأول كل أصواته مجهورة وهو(ولد)، والثاني كل أصواته مهموسة وهو (شخص)، ولنحاول نطق كل مفردة على حدة، ثم نتأمل أيهما أنصع وأسمع[22]، وهذه الصفات الأساسية المهموسة والمجهورة يتخذها الصوت اللغوي عندما يتحول النفس إلى صوت في أعلى الحنجرة.

- **الصفات الثانوية:**

ليست الصفات الثانية دون الأساسية في الأهمية والوظيفة، ولكنها تأتي بعد حدوث الأولى (الأساسية)، فالثانوية يتخذها الصوت في موضع حدوثه، وهي جماعية أيضاً، وتنقسم على ثلاثة أقسام بحسب قوة الصوت المصاحب لكل مجموعة عند حدوثها في مختلف مواضعها من الجهاز النطقي، وهي: أصوات شديدة مجموعها ثمانية جمعوها في عبارة (أجدك قطبت)، وأصوات رخوة مجموعها ثلاثة عشر صوتاً، وأصوات متوسطة بين الشديدة والرخوة، جمعوها في عبارة (لم يروعنا)[23]، ونشير إلى أن سيبويه لم يذكر من الأصوات

المتوسطة إلاّ العين، وأضاف إليها المبرِّد (ت 282هـ) في كتابه المقتضب أصواتاً، ثم أتمم ابن جني ما كان متبقياً منها[24].

- **الصفات التمييزية الفارقة:**

الصفات الفارقة: هي أوصاف جاءت لمجموعات صوتية، أو أصوات مفردة، وهي صفات نحتاج إليها عندما يتحد صوتان في المخرج والصفات الأساسية والثانوية، مثل: (الطاء، والدال)، فهما صوتان نطعيان مجهوران شديدان، فنحتاج إلى ما يميز بينهما حتى لا يدغمان، فيقال: " الطاء صوت مطبق، والدال صوت منفتح "[25]، ومثلهما اللام، والراء، والنون، فجميعها ذلقة مجهورة متوسطة، وبتوظيف الصفات الفارقة تكون الراء صوتاً مكرراً، واللام منحرفاً، والنون غنّة، وبهذا يزول الإشكال والتداخل[26].

- **علاقة الصامت بالصائت وموقعه منه:**

تحدّث كل الدارسين اللغويين عن الصوائت العربية التي سموها حركات، مع إضافتها إلى ما كان يبتغيه كل دارس؛ من علامات ثبات، وتغير، ونقل، وحياد، وإعراب، وبناء، وإسناد، وإضافة، ولكنهم قلّما تحدثوا عن علاقة هذه العلامات بمن هي علامة عليه أو له وكل ما قالوه فيها ووصفوها به، إنها أعراض تلحق جواهر[27]، وكان الجوهر عندهم هو الصامت والعرض هو الصائت، ومن ثمة، صارت الصوائت ملحقات وزوائد وأعراضاً، تصيب الجواهر كالأمراض، وهل للصامت أن يتخلص من الصائت؟ وليجرب الناطق العربي أن ينطق صوتاً بغير صائت معه، أو مجاور له، ولا يزعمن أحد أن الصوت قد يكون ساكناً فذلك سوء تقدير عند من يقل به.

إنَّ الصامت لا يمكن نطقهُ أبداً بغير صائت معه، أو سابق، أو لاحق له، ففي قولنا (يكْتب) بتسكين الكاف وهو صوت منطوق بفتحة الياء السابقة له، والمتقدمة عليه وقد يتوالى صوتان ساكنان في مثل: (الصبْحْ، والبحْرْ، والنفْسْ) عند الوقف بالتسكين، وهنا يكون الصوت ما قبل الأخير منطوقاً بما قبله، والصوت الأخير منطوقاً بما بعده، ولا يمكن أن يتوالى ثلاث أصوات ساكنة.

ومن هنا، نقول واثقين في الوصف: إنَّ الصائت ليس عارضاً لجوهر هو الصامت، وإنما الصائت هو روح الصامت، ومن ثمة صدقوا في وصفهم للصائت بأنه حركة، وإذا كان ذلك، فهو حركة متحركة بنفسها محركة لغيرها، ومن هنا نقول: الصامت (الحرف) جسم روحه الصائت (الحركة)؛ لأنَّ الصامت جسم والحركة روحه.

للصائت اللغوي وظيفتان، واحدة إحداث الصوت في الصامت، ويسميها بعض الدارسين أساسية[28]، وأُخرى تشكيل الدلالة وتلوينها في المباني الإفرادية، ويطلق عليها بعض المختصين الوظيفة الثانوية[29]، وما نراها نحن كذلك.

- **موقع الصائت في الجهاز النطقي:**

لكل موجود موقع يتحدد فيه وجوده، والصائت موجود، وجوده في الجهاز النطقي طبعاً، ولكنه ليس كالذي رأيناه عند الصامت؛ وعلّة ذلك قلّة الصوائت العربية واستقلالها بذواتها عن الصوامت، وتميزها من حيث الكميات الصوتية وعلاقتها ببعضها، والصوت كميات على ما أسلفناه.

اتفق الدارسون على أن موقع حدوث الصائت في أقصى الحلق، إذ سماها الخليل الجوفية الهوائية، وسماها بعض المحدثين الحنجرية[30]؛ ولكن التتبع والتقصي جعلنا نتخذ منها موقفاً غير الذي قيل فيها، وهو أن وصفها بالحنجرية ليس دقيقاً؛ وإنما لها كما لغيرها موقعان، وقد رأينا من قبل أن للصامت أكثر من

صفة، واحدة أساسية قائمة على تحول النفس، وأُخرى ثانوية أساسها كميات الصوت في موضع حدوث الصامت. توسع بعض المختصين في الصفات التمييزية حتى تجاوز بها الأربعين، وفي ذلك قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ): " لم أزل أتتبع الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها، حتى وجدتُ من ذلك أربعة وأربعين لقباً "[31]، وما ينبغي أن يلاحظ هنا، أن هذه التقسيمات والتوزيعات، عربية في أصلها، متقدمة عما توصل إليه المحدثون من العرب وغير العرب في الدراسات الصوتية، وهذه مجرد نافذة عن الصفات الصوتية، والتمييز به منها.

تتولد الصوائت العربية في أعلى الحنجرة، ويقوى معها اهتزاز الوترين، فتوصف بالمجهورة، ولكنها تسير في الممر الصوتي ليكون موقع انطلاقها ليس هو موقع حدوثها، وقد رأينا من قبل، أن الصوامت تتخذ أسماءها وتصنيفاتها الأولى في أعلى الحنجرة (مجهورة، أو مهموسة) ثم تتوزع على مواقع عدّة في القناة الصوتية، ليتم تشكيلها فيها، ثم يغادر كل صوت الموضع الذي تم فيه تكوينه وتشكيله، في اتجاه فتحتي الأنف أو الشفتين، إلى خارج الجهاز النطقي؛ وذلك الموضع هو مخرج الصوت الحقيقي، ومن هنا سميّ صائت بالضمة، لانضمام الشفتين معه عند حدوثه، وآخر بالكسرة لانكسار الشفتين إلى الوراء، عند النطق بالصوت في شكل ابتسامة، وآخر بالفتحة لانفتاحهما معه عند انطلاقه، ونخلص من هذا، إلى أن للأصوات العربية موقعين على الأقل، واحد تولد فيه جميعها، وهو أقصى الحلق، وقويّ معها اهتزاز الوترين عند حدوثها فيه، فكانت مجهورة، ولها موقع ثانٍ تنطلق منه، وفيه تتخذ صفتها الثانية، ولكن الدارسين أغفلوا هذه الحال، وتوقفوا عند وصف حدوثها في أعلى الحنجرة، واضطربوا في صفتها الثانية، فقالوا فيها أنصاف الصوامت والصوائت الطويلة، والعلل، والسواكن[32].

وتأسيساً على ما سبق، نرى أن الصائت كمية تصاحب كمية الصامت في الامتداد والاتساع.

**المجال الثالث/ الزمن**

من المعلوم أن كل شيء يحدث في الوجود يحتاج إلى تقدير زماني، وتحديد مكاني، مع تفاوت بين الموجودات، ولكن وجودها مقاس على كل حال لقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:2]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [ الرعد: 8]، أي أنَّ لكل مخلوق تقديراً، وأول التقديرات (الزمان، والمكان)، وفي الزمان امتداد، وفي المكان استقرار، والصوت اللغوي كائن منطوق مرسل عبر زمان ومكان، متأثر بمحيطه، ومؤثر فيه، من هذا المتطور استعرضنا أعداد حسابية وتشكيلات هندسية، فكانت الأرقام قياسات امتداد والزوايا قياسات اتساع، ومنها معاً يقوم نظام الكميات، واللغة أصوات والأصوات كميات، وقياسات[33].

وقد تنبّه العرب القدماء إلى ظاهرة القياس لغةً واستعمالاً، فالقياس تقديرات وموازين، وفي قولنا هذا قياس على ذاك يعني يساويه في جهة من الجهات المقصودة، كما عمد العرب إلى التقديرات الحسابية في الأداء الصوتي، وكان للقرّاء السبق في قياس الأصوات المرسلة، ونلاحظ حتى الآن القرّاء والمؤذنين يضعون أصابعهم على آذانهم عند أداء الصوت وتحريك أصابعهم حركات متوالية هم يعرفون مداها[34]، وكذا تحريك أصابع اليد في الأداء الصوتي عند الترتيل والتجويد، وقد صرحوا بهذا للمتعلم وقالوا تقدّر المدة الزمانية لألف المد العادية بعقد إصبعين إصبع والألف المتبوعة بشدة بعقد أربعة أصابع، والمتبوعة بهمزة عقد ستة أصابع، ويبقى علينا تقدير متوسط المدة الزمنية المعبِّرة عن ذلك[35]،

وقام بعض المحدثين بمحاولات في تقدير زمن الأداء، إمّا نقلاً عما قام به غير العرب في لغة غير العربية، أو محاولات اجتهادية منهم مثل جهود كريم زكي حسام الدين[36] في كتابه الدلالة الصوتية، وعبد الرحمن أيوب في كتابه الكلام إنتاجه وتحليله[37]، وسمير شريف ستيتية من بعده[38]، وهذه عينة من تقديراته الزمانية للصوت اللغوي.

| الصفات الصوتية | الزمن المستغرق من ألف من الثانية | |
|---|---|---|
| المجموعة الصوتية | النطق عند الإناث والذكور | |
| الشديد المجهور | من 100 حتى 140 | من ألف من الثانية |
| الشديد المهموس | من 100 إلى 160 | من ألف من الثانية |
| المجهور الرخو | من 110 حتى 140 | من ألف من الثانية |
| المهموس الرخو | من 130 حتى 180 | من ألف من الثانية |

**المجال الرابع: الكثافة الصوتية**

كل جسم مادي ثلاثي الأبعاد، يمكن قياسه بوحدتي الطول والثقل بالمتر والغرام، وما لكل منهما من أجزاء وتضعيفات، ونشير هنا إلى أن كلمة الثقل والخفة شغلت حيزاً وافراً عند القدماء يتقدمهم سيبويه، حتى كأنه ألّف كتابه من أجل تحقيق مبدأ الخفة الذي هو مطلب الدراسات اللسانية الحديثة المسمى مبدأ الاقتصاد، ونعني به التقليل من الجهد المبذول في الزمن والطاقة عند الأداء، ولكن القدماء مع قلّة الوسائل الدقيقة في تحقيق الدقة المطلوبة في زماننا عمدوا إلى التقدير، وحققوا فيه نتائج مجمودة[39]، وجاء المحدثون والمعاصرون فحققوا رغبة القدماء بما أوتوا من نوعية الوسائل ودقتها في حسابات الكليات وتقدير الجزئيات، مثل جهود عبد الرحمن أيوب[40].

| الصفات الصوتية | الكثافة الصوتية | |
|---|---|---|
| المجموعة الصوتية | عند الإناث | عدد الذكور |
| الشديد المجهور | ما بين 3 و5 غرام | ما بين 4.5 و 5.6 غرام |
| الشديد المهموس | ما بين 5 و8 غرام | ما بين 6 و8 غرام |
| المجهور الرخو | ما بين 4 و6 غرام | ما بين 5.5 و 6.6غرام |
| المهموس الرخو | ما بين 5 و8 غرام | ما بين 5.6 و 8غرام |

وتأسيساً على ما سبق، نقول: إذا أردنا بناء مرتفعاً عالياً للغة العربية، يجب أن تكون قاعدة هذا الهرم واسعة ومتينة؛ والدراسات اللغوية كلها قاعدتها الصوت، والصوت اللغوي الإنساني وحده.

**أثر عوامل القوة والضعف الصوتيين:**

**أولاً: الأثر النطقي**

من أهم العوامل التي يتوقف عليها، تميزُ الصوت اللغوي من غيره، إيجاباً، أو سلباً: الجهد الذي يبذله الجهاز النطقي لإنتاجه؛ فعادةً يستأثر الصوت الأقل جهداً بالأفضلية، ويحدد هذا العامل في الصوت اللغوي، الملامح التمييزية، التي يتشكل منها، فيتوقف ذلك على طبيعة الملامح المتوافرة في الصوت من ناحية الجهد المبذول.

أمّا أهم الملامح، التي يتوقف عليها مقدار هذا الجهد، فهي: الجهر والهمس من جهة، والانفجار والاحتكاك من جهة أُخرى، أمّا الجهر والهمس، فينصُّ محمود السعران على: " أنَّ نطق الصوامت المهموسة، يحتاج عادةً إلى جهد عضوي أقوى من الذي يستدعيه نطق الصوامت المجهورة "[41]، وعلى ذلك ينص إبراهيم أنيس بقوله: " إنَّ الأحرف المهموسة، تحتاج للنطق بها إلى قدرٍ

أكبر من هواء الرئتين، مما يتطلبه نظائرها المجهورة؛ فالأحرف المهموسة مجهدة للتنفس ولحسن الحظ، نراها قليلة الشيوع في الكلام؛ لأنَّ خمس الكلام يتكون عادةً من أحرفٍ مهموسة، وباقي الكلام أحرف مجهورة "[42].

أمّا الأصوات الانفجارية والاحتكاكية، فينصُّ إبراهيم أنيس على " أنَّ الأصوات الشديدة ــ الانفجارية ــ ، تحتاج إلى جهد عضلي، أقل من نظائرها الرخوة ــ الاحتكاكية ــ "[43]، كذلك، مما يقرره علم الأصوات اللغوية، أن أحرف أقصى الحنك، أشق من نظائرها، التي مخرجها طرف اللسان، مثل: الكاف إذا قورنت بالتاء[44]؛ وأنَّ الأصوات المفخمة تحتاج إلى جهد عضلي زائد، على الجهد الذي تحتاج إليه نظائرها غير المفخمة[45]. وإذا كانت طاقة الحركات الفيزيائية، كما يقول سلمان العاني أكبر من طاقة الصوامت[46]؛ فإنَّ الجهد المبذول لإنتاج الحركات، أكبر من الجهد المبذول لإنتاج الصوامت، فطاقة الصوت الفيزيائية، تأتي على قدر ما يبذل من جهد لإنتاجه.

والنص الجيد، هو ذلك الذي لا تجهد اللسان أصواته؛ مراعياً بذلك " أنَّ الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي... "[47]، وتتحقق سلاسة النص، من هذه الناحية، من خلال اختيار الألفاظ السهلة النطق من جهة، وتنظيمها في التراكيب، على وجه يحافظ على سهولة النطق، من جهة أُخرى. أمّا سهولة النطق بالكلمة العربية، فتتحقق، كما يقول إبراهيم أنيس بضوابط عدّة هي:

1-خلوها من الأصوات الصعبة النطق، وأهمها الهمزة، والقاف، وأصوات الإطباق: (الضاد، والطاء، والظاء، والصاد)؛ فالكلمة التي تتضمن أكثر من صوت من هذه الأصوات، ولو لم يتجاورا، تعدُّ من الكلمات العسرة النطق.

2-خلوها من تنافر الأصوات، الذي يعزى سببه، إلى تلاقي الأصوات المتقاربة المخرج، أو الصفة فيها، مثل: التقاء صوتي الحلق الحاء والعين، والتقاء صوتين من الأصوات: اللام، والراء، والنون، والتقاء صوتين من أصوات الصفير كالسين والزاي وغير ذلك.

3-أنْ لا تكون الكلمة كثيرة الحروف مثل: مستشارات[48].

ومن أهم العوامل التي يتوقف عليها الجهد النطقي، المقاطع الصوتية، لما لها من دورٍ في العملية الكلامية، فإذا كانت الأصوات الخامة التي يتشكل منها الكلام، فإنَّ المقاطع الصوتية، الهيكل الذي تبنى عليه هذه الخامة، فالأصوات تأتلف من تجمعات، يتكون الواحد منها، من حركة قصيرة، أو طويلة، مكتنفةٍ بصوت أو أكثر، من الأصوات الصامتة[49] ، ومن هذه التجمعات، التي تمثل المقاطع الصوتية ذاتها، تتكون الألفاظ، ومن خلال هذا الدور الذي تقوم به المقاطع، تؤثر سلباً، أو إيجاباً في الجهد النطقي.

تختلف المقاطع الصوتية، في الجهد الذي يبذله الجهاز النطقي لإنتاجها، مجردة من طبيعة الأصوات التي تشغلها، وخارجة على ترتيبها في السلسلة الكلامية، لكون ذلك يؤثر في رفع جهد المقطع، أو خفضه، ويتوقف هذا الجهد على طول المقطع الصوتي من جهة، وطبيعة مكوناته، وترتيبها فيه من جهة أُخرى.

ويمكننا أن نرتب المقاطع الصوتية من ناحية الجهد النطقي، بناءً على المعطيات الآتية:

1-الجهد المبذول لإنتاج الحركة، أكبر من الجهد المبذول لإنتاج الصامت كما عرفنا.

2-الحركة الطويلة أصعب في النطق، من الحركة القصيرة؛ لكونها بمكانة حركتين قصيرتين، فـ " الفرق بين حركة قصيرة، وأُخرى طويلة، هو تقريباً مضاعفة القصيرة أو أكثر "[50].

3-من الطبيعي، أنه كلما زاد طول المقطع؛ زادت صعوبتهُ؛ لاحتوائه أصواتاً أكثر .

4-صعوبة النطق بما يعرف في ميدان الدرس المقطعي، بالعنقود الفونيمي، أو الصوتي، وهو: " اجتماع أكثر من صامت في بداية المقطع، أو نهايته"[51] ، ومما يؤكد ذلك؛ أنَّ العربية " تكره.. تتابع الصوامت "[52]، فلا يبدأ المقطع فيها بصامتين، كما لا يبدأ بحركة، ولا ينتهي كذلك بصامتين، إلاّ في سياقات معينة، أي عند الوقف، أو إهمال الإعراب[53].

أمّا ترتيب المقاطع، فيكون، من الأسهل في النطق إلى الأصعب.

وتأسيساً على ما سبق، تبيّن أن الجهد المبذول المتفاوت، لإنتاج المقاطع الصوتية، تؤثر هذه المقاطع فيه، فوجود المقطع الطويل المغلق مثلاً في كلمة (ضالين) يثقل نطق هذه الكلمة، ونطق الجملة التي تحويها. كذلك، تؤثر هذه المقاطع في الجهد النطقي، من خلال التنظيم الذي يعتريها في التراكيب، فإنَّ من المقاطع، ما يصبغ تجاوره التركيب بالسهولة، وإنَّ منها ما هو نقيض ذلك؛ فتتابع المقطعين المتوسط المغلق والمتوسط المفتوح مثلاً، يحقق سلاسة نطقية عذبة، لا تجدها في تتابع ثلاثة مقاطع قصيرة أو أكثر، فهو تتابع ثقيل، ومن خير الأدلة على تأثير المقاطع الصوتية بجهدها وتنظيمها، الشعر العربي، فقد بُنيَ هذا الشعر على المقاطع (القصير، والمتوسط المغلق، والمتوسط المفتوح؛ لسهولتها، وقد نُظّمت في تفعيلات على الوجه الذي يتمم هذه السهولة، فمثلاً لا يمكن في الشعر العربي، أن تتوالى أكثر من ثلاثة مقاطع من النوع القصير، في أيِّ بحرٍ

من البحور، بحال من الأحوال، ولا يجوز فيه توالي ثلاثة مقاطع من هذا النوع، إلاّ في التفعيلة (مُتَعِلُنْ)، إحدى صور التفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ)، وهي تفعيلة قليلة الاستعمال[54]، لما تحدثه بتوالي مقاطِعها الثلاثة القصيرة، من ثقل ملاحظٍ في النطق، على الرغم من أن هذا النوع من المقاطع، أسهلها منفرداً، ومن أمثلة هذه التفعيلة، التركيب (فنهضل) من قول أحمد شوقي: من السريع

**فنهضَ الفيلُ وزيرُ العُلا وقالَ: يا ذا الشرفِ الأرفعِ**

**لا خيرَ في الملكِ وفي عِزِّهِ إنْ ضاقَ جاهُ الليثِ بالضفدعِ[55]**

ويمكن لنا أن نلمسَ، في هذين البيتين، أثراً من آثار عدم تقبلِ الشعر، توالي هذا العدد من المقاطع القصيرة، ألا وهو قول الشاعر: لا خيرَ في (المَلْكِ) بدلاً من (مَلِكِ)؛ فـ " يكثرُ في الشعر العربيّ، تسكين لام (ملك) بدلاً من تحريكها؛ فراراً من توالي ثلاثة مقاطع قصيرة "[56].

وكما أدرك الشعراء ما في سلاسة النطق من ضرورة، أدركه المتلقون، يتقدمهم في ذلك النقادُ، الذين نصّوا على أنَّ أجودَ الشعر ما كان "متلاحم الأجزاء، سهل المخارج؛ فيعلم بذلك، أنّه أُفرغ إفراغاً جيداً، وسُبك سبكاً واحداً؛ فهو يجري على اللسان، كما يجري على الدّهان "[57].

**ثانيا: الأثر السمعي**

تمثل العملية النطقية، والعملية السمعية، فلقتي حبة فولٍ، لا تنمو بشقٍ واحد، وهذه الحبة، هي اللغة ذاتها، التي " تستلزم اثنين فأكثر، حتى عندما تتكلّم إلى نفسك، فأنت تجردُ من شخصك فرداً متكلماً وآخر سامعاً "[58]، فاللغة تقوم على الثنائية (المتكلّم، والسامع)؛ لذلك كان الوضوح السمعي، ضرورة من ضرورات الاتصال اللغوي، تحقق به اللغة هدفها التأثيري، وسمةً من سمات الجودة الصوتية، التي يتمتع بها النص الجيد.

وهذا الوضوح، خارجاً على المؤثرات اللغوية، كالمؤثرات النفسية، والاجتماعية، يتحصل بعوامل عدّة، تتمثل في طبيعة الأصوات اللغوية التركيبية والفونيمات غير التركيبية، وطبيعة المقاطع الصوتية، والتنظيم الذي يحكم هذه الأصوات والمقاطع، فللمقاطع الصوتية، التي تنتظم الأصوات اللغوية، دورها في الوضوح السمعي؛ فهي تختلف في مقدار وضوحها، بناءً على طول المقطع، والطاقة التي يحملها، أمّا طول المقطع، فهو الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا المقطع، وبازدياد هذا الزمن يزداد وضوح المقطع، ويتوقف هذا الزمن بدوره على عدد مكونات المقطع؛ فكلما زادت هذه المكونات، زاد الزمن، كما يتوقف على طبيعة هذه المكونات؛ فالحركات أطولُ من الصوامت، والحركات الطويلة أطول من القصيرة، وأمّا الطاقة، فترتبط بالجهد المبذول لنطق المقطع الصوتي؛ فكلّما زاد هذا الجهد؛ زادت طاقة المقطع؛ فيزداد بذلك وضوحه[59].

وإذا أردنا أن نرتّب المقاطع الصوتية، وفق الوضوح السمعي؛ تبيّن لنا أن هذا الترتيب، ترتيبها ذاته، وفق الجهد المبذول؛ لاشتراك الترتيبين في الأسس ذاتها؛ فيكون ترتيبها وفق الوضوح السمعي، تصاعدياً على الوجه الآتي:

المقطع القصير (ص +ح)، فالمقطع المتوسط المغلق (ص + ح + ص)، فالمقطع المتوسط المفتوح (ص + ح ح)، فالمقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص + ح + ص + ص)، فالمقطع الطويل المغلق (ص + ح ح + ص)، فالمقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق (ص + ح ح + ص + ص)[60].

وفي تنظيم الأصوات والمقاطع الواضحة في السمع، في النص، ما يعزز وضوح النص السمعي، ففي النص مواطن أولى بهذا الوضوح من غيرها، مثل بداية التركيب ونهايته، سواءُ أكان هذا التركيب كلمة، أم جملة، أم فقرة، أم النص ذاته، فالبدايات أول ما يقابل المتلقي، والنهايات آخر ما يستقر في ذهنه،

وبوضوح البدايات والنهايات، يُضمن وصول النص بمعانيه إلى المتلقي على أتم وجه.

ويمكن لنا أن ندرك ضرورة وضوح هذين الموضعين من التركيب، فقد ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي أن: " السامع يوجه قسطاً كبيراً من انتباهه، في أثناء السماع، إلى مدلول الكلمات والعبارات، ولا يُعنى كثيراً بإدراك الأصوات، وهذا الاتجاه الذي لا يستطيع أي سامع أن يتحرر منه تمام التحرر، ويجعل إدراكه السمعي عرضة للزلل، فهو بمجرد أن يدرك معنى الكلمة؛ وذلك يتحقق بسماع بعض حروفها، وبمجرد أن يدرك معنى الجملة؛ وذلك يتحقق بإدراك بعض كلماتها، ينصرف عن سماع الباقي، فلا يدركه إدراكاً سمعياً صحيحاً. تعمّد مثلاً تحريف بعض كلمات من جملة، وناقش السامع فيما سمعه، ترى أنّه لم يتبين هذا التحريف، فمثلاً في أثناء التحسر على شخص: "بسكين الراجل دهـ، فإنَّ المخاطَب يسمعها. مسكين ولا يفطن لاستبدال الباء بالميم "[61].

نجد في القرآن الكريم وضوح البدايات والنهايات، ما يعكس إعجازه، من ناحية، ويؤكد ضرورة هذا الوضوح من ناحية أُخرى، فمثلاً: تبدأ نسبة عالية من سور القرآن الكريم بالأصوات ــ الهمزة، ونصف الحركة الواو والياء ــ، فتبدأ (41) سورة بالهمزة، و(17) سورة بنصف الحركة الواو، و(14) سورة بنصف الحركة الياء، أي (72) من (114) سورة، كذلك تشكل النون والميم، معظم فواصل القرآن الكريم، في متن السور ونهاياتها، وجميع هذه الأصوات، من أوضح الأصوات العربية في السمع. ولو نظرنا في القرآن الكريم نظرة جزئية، فتتبعنا مثلاً آيات سورة الفاتحة السبع، لوجدنا أربعاً منها تبدأ بالهمزة، وإذا وقفنا على الفواصل، وباقي الآيات، كانت بالباء، والميم، والصاد، كما نجد أربعاً منها تنتهي بالنون، والباقي بالميم، كذلك تنتهي جميع آيات هذه السور، عند الوقف،

بالمقطع الطويل المغلق (ص + ح ح + ص)، وهو من أوضح المقاطع العربية في السمع.

أدرك متذوقو اللغة ذلك، ومنهم الشعراء، ففي دراسة إحصائية للحروف التي تستعمل رويّاً في القصيدة العربية، في المفضليات، والأصمعيات، وديوان الأعشى، قام بها الدكتور عادل أبو عمشة، وتبيّن أنَّ الأصوات الرنّانة، أكثر الأصوات التي تستعمل رويّاً، في هذه المجموعات الثلاثة، وتتقدمها في ذلك الميم، كما تتقدم جميع الأصوات العربية في هذه المجموعات[62]، ومن النقاد مَنْ اتخذ منها الوضوح السمعي، معياراً للحكم على جودة النص الذي ينقده، من هؤلاء النقاد، محمد مندور، ففي نقده قصيدة ميخائيل نعيمة (أخي)[63]، يتوقف مثلاً عند البيت:

**وقدّسَ ذكرَ مَنْ ماتوا وعظّمَ بطشَ أبطالِهِ** (مجزوء الوافر)

ليقول في عجزه: " أيُّ قوةٍ في تتابع هذه الحروف المطبقة: ظاء ثم طاء وطاء، أعدْ هذه الجملة على سمعِك، ثم أنصت إلى قوتها التي تملأ فمك، كما تملأ الأُذن... "[64].

**ثالثا: الأثر الموسيقي**

إنَّ من النصوص، ما إنْ سمعته، أو قرأته، استولى على حواسك بما تجده من روعة في لغته، ومنها ما هو دونَ ذلك، ولعلّك ترد هذه الروعة في كثير من الأحيان، إلى تلك الموسيقى اللغوية التي تستشفها من النص، كما تردُّ جمال لوحةٍ تراها إلى ألوانها المتناسقة؛ لكن ما الذي يقف وراء هذه الموسيقى في النص؟

تعتمد موسيقى النص اللغوية، على طبيعة الأصوات التركيبية، والفونيمات غير التركيبية، التي يتشكل منها، وطبيعة المقاطع الصوتية، والتنظيم الذي يحكم هذه الأصوات والمقاطع، فللمقاطع الصوتية، أثرها البيّن في الموسيقى اللغوية،

بصفتها الهيكل التنظيمي، الذي تأتلف منه الأصوات اللغوية، مشكّلة بذلك الكلام، وتختلف هذه المقاطع، بناءً على طبيعتها، في الأثر الموسيقي الذي تحدثه، فمنها ما تحسن به الموسيقى اللغوية في النص، لسهولة نطقه بما يحوي من أصوات؛ لذلك نجد أن المقاطع: القصير (ص + ح)، والمتوسط المغلق (ص + ح + ص)، والمتوسط المفتوح (ص + ح ح)، أكثر المقاطع موسيقيةً؛ فهي أسهلها في النطق، ومما يؤكد ذلك، أنَّ العربية فضلتها في الاستخدام على غيرها، كما بنى العرب أشعارهم عليها، والشعر نص لا يقوم من دون الموسيقى.

**رابعا: الأثر الدلالي**

إنَّ من أهم ما شغل العلماء والباحثين، قديماً وحديثاً، تلك العلاقة القائمة بين الصوت اللغوي المفرد، والدلالة؛ لكنهم إلى اليوم لم يتوصلوا، إلى نتائج واضحة ينأى عنها الجدل، إلاّ أنَّ الأمر لا يخلو مما يمثل بذوراً صالحةً، لنمو هذا الجانب من علم الدلالة على وجه رضيّ.

إنَّ دراسة دلالات الأصوات اللغوية منفردة، أمرٌ معقد إلى حدٍّ ما، فهي ترتبط بجوانب لغوية أكثر إشكالاً، كنشأة اللغة البشرية، والدراسات اللغوية النفسية، والاجتماعية، فضلاً عن أن علم الدلالة ذاته، الذي يمثل أهم فروع علم اللغة[65]، "ليس فرعاً منظوراً يقبل التنظيم على نحو جيد، أي أنّه ليس بذلك المستوى اللغوي، الذي يمكن أنْ يعرّف على نحو واضح، فيقارن بعلم الأصوات الوظيفي "[66]. تتكون الكلمات من مقاطع متتابعة، ولكل مقطع سماته الصوتية المتميزة، فترتيب هذه المقاطع في الكلمات، وتواليها على نسقٍ معين، ذا أثر كبير في إحداث أنواع من الموسيقى الداخلية، تتناسب والأفكار التي تعبِّر عنها وتصورها، فمثلاً، تستغرق المقاطع المغلقة في نطقها، زمناً أقل من الذي

تستغرقه المقاطع المفتوحة، ومن هنا كان استعمال المقاطع المغلقة، يناسب لوناً من التعبير، لا تؤديه المقاطع المفتوحة والعكس صحيح.

يتضح لنا مما سبق، أنَّ في المقاطع الصوتية، طاقة تعبيرية ذاتية، من شأنها أن تدعم مضمون النص، إذا ما أحسن الكاتب استغلالها؛ وذلك بالاختيار والتنظيم المناسبين.

ولا بُدَّ لي، بعد الوقوف في هذا البحث، على آثار عوامل القوة والضعف الصوتيين، أن أشير إلى أن ذلك لا يعني، أن يتجنب الكاتب سلبيات هذه العوامل، مثل صعوبة النطق، وقلّة الوضوح السمعي؛ فصفة السلاسة أو الخفة مثلاً " ليست مطلوبة دائماً، وفي كل الأحوال، كما قد يفهم من آراء بعضهم؛ فقد نترك اللفظ السهل في بعض الأحيان، ونختار مرادفاً صعباً له، سواء أكان ذلك في الشعر، أم في النثر، فقد نستعمل ــ حزن ــ، ونترك ــ أسى ــ، ونستعمل ــ بغيض ــ ونترك ــ كريه ــ، ونقول ــ عشق ــ بدلاً من ــ حب ــ، و ــ ملطخ ــ، بدلاً من ــ ملوث ــ، و ــ غضنفر ــ بدلاً من ــ أسد ــ، بل قد نعمد في العامية، إلى اللفظ السهل، فنضيف إليه ما يجعله أثقل نطقاً، فنقول: ــ شقلب ــ بدلاً من ــ قلب ــ، إننا نميل إلى الأصعب، إن كان أنسب ويكون أنسب عندما يكون أقوى تعبيراً "[67].

وتأسيساً على ما سبق، نستنتج أنَّ جودة النص، تتأثر إيجاباً، أو سلباً، بعوامل القوة والضعف الصوتيين، الداخلية المتمثلة في ملامح أصواته التمييزية، والخارجية المتمثلة في الفونيمات غير التركيبية المستعملة فيه، وفي اختيار أصواته، ومقاطعه الصوتية، وكيفية تنظيمها، ويظهر هذا الأثر الذي تحدثه هذه العوامل، في أربعة جوانب رئيسة، وهي: الجانب النطقي، والجانب السمعي، والجانب الموسيقي، والجانب الدلالي، فمن شأن هذه العوامل، أن تجعل النص

سهلاً سلساً في النطق، أو صعباً وعراً، وأن تجعله واضحاً في السمع، أو غير واضح؛ كذلك من شأنها، أن تصير موسيقاه اللغوية جميلة، أو رديئة، وأن تدعم دلالاته، بما تحمله من دلالات ذاتية كامنة؛ لذلك على الكاتب الذي يريد نصاً متميزاً، أن يحسن استغلال هذه العوامل؛ وذلك بتوزيعها في نصه توزيعاً مناسباً، يحقق تناغمها وتكاملها، فترفع بذلك من جودة نصه، مؤثرة في المتلقي، من خلال حسِّه اللغوي كما يريد لها الكاتب أن تؤثر.

**الخاتِمة:**

أبرزَ هذا البحث بالاعتماد على علم الأصوات، قيمة العناصر الصوتية الفونيمية التركيبية، والفونيمات غير التركيبية، ومجالاته في تشكيل النص الفني المؤثر في متلقيه، وقيمتها في تعميق فهم هذا النص، واستبانة مستواه الفني، وقد تحقق ذلك من خلال دراسة أثر هذه العناصر في أربعة جوانب رئيسة، وأربعة مجالات.

أمّا الفونيمات التركيبية، فقد تبيّن أنها تؤثر في هذه الجوانب، إيجاباً أو سلباً، من خلال الملامح التمييزية التي تتشكل منها، مثل الجهر والهمس، والانفجار، والاحتكاك، والتكرار، والأنفية والجانبية، فإلى هذه الملامح يعود اختلاف هذه الفونيمات في الجهد المبذول لنطقها، وفي وضوحها السمعي، وطبيعة الجرس الموسيقي.

بيّن البحث أن مَنْ وصف الصوائت بالحنجرية كان وصفه ليس دقيقاً؛ وذلك لما لها من صفات، إذ تحدد كمياتها التي تصاحب كمية الصامت في الامتداد والاتساع.

**الهوامش:**

**القرآن الكريم**

(1) منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري (ت 1435هـ): 471.
(2) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي،: 28.
(3) الخصائص، ابن جني (ت 392هـ): 34/1.
(4) يُنظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ): 247/1.
(5) يُنظر: علم أصوات العربية، محمد جواد النوري: 238.
(6) يُنظر: التحفة السنية بشرح الأجرومية، محمد محيي الدين عبد الحميد: 183.
(7) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: 277.
(8) يُنظر: أسباب حدوث الحروف، ابن سينا(ت 428هـ): 187.
(9) يُنظر: المصدر نفسه: 187.
(10) الكتاب، سيبويه (ت 180هـ): 433/4، ويُنظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ): 57/1.
(11) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمّام حسّان: 54، والوجيز في فقه اللغة: 74.
(12) يُنظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (ت 833 هـ): 195
(13) يُنظر: دراسات في علم اللغة، قسم الأصوات، كمال محمد بشر: 47.
(14) يُنظر: البيان والتبيين، الجاحظ (ت 255هـ): 87.
(15) يُنظر: دراسات في فقه اللغة: 44.
(16) من وسط الحلق ابتدأ الخليل بن أحمد توزيع الأصوات متخلياً عن أقصى الحلق، الذي اعتمده تلميذه سيبويه من بعده، يُنظر: علم اللغة المقارن مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: 61.
(17) جعل الخليل الضاد شجرية مع الجيم والياء والشين، وجعلها سيبويه من جانب الأضراس، يُنظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: 22.
(18) جعل سيبويه للنون مخرجين، واحد هو هذا، والآخر (الخيشوم) وهي فيه مع التنوين، عندما تكون ساكنة، كما جعل سيبويه الراء من ظهر اللسان، يُنظر: دراسات في فقه اللغة: 72.

(19) يُنظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني (ت 392هـ): 60.
(20) يُنظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ): 20.
(21) يُنظر: مناهج البحث في اللغة، تمّام حسّان: 54.
(22) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة: 82.
(23) يُنظر: سر صناعة الإعراب: 60، وسر الفصاحة: 23.
(24) يُنظر: سر صناعة الإعراب: 61، ومناهج البحث في اللغة: 74.
(25) يُنظر: سر صناعة الإعراب: 62.
(26) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 64.
(27) الجوهر عند المتكلمين هو: الموجود القائم بنفسه المتحيز بالذات، أما الأعراض فهي: التي لا يصح وجودها إلاّ قائمة في محل لأنه لا تحيز له إلاّ أن يكون تابعاً لتحيز المحل الذي تقوم فيه، وليس وجودها في المحل الذي تقوم فيه، يُنظر: تفصيل ذلك في كتاب التعريفات، للجرجاني(ت 816هـ).
(28) يُنظر: الوجيز في فقه اللغة: 84.
(29) يُنظر: مناهج البحث في اللغة: 77.
(30) يُنظر: كتاب العين: 52/1، وعلم اللغة المقارن مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران،: 261.
(31) الرعاية لتجويد القراءة، مكي بن أبي طالب القيسي(ت 437هـ): 57.
(32) يُنظر: علم أصوات العربية: 238.
(33) يُنظر: التقانات الصوتية لدى الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية، انتصار سالم إبراهيم: 203.
(34) يُنظر: هداية الرحمن في تجويد القرآن، عبد الوهاب دبس وزيت (ت 1389هـ)،: 7.
(35) يُنظر: هداية الرحمن في تجويد القرآن: 8.
(36) دراسة لغوية لدلالية الصوت ودوره في التواصل، كريم زكي حسام الدين،: 97.
(37) يُنظر: الكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرحمن أيوب: 107.
(38) يُنظر: علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، سمير شريف استيتية: 506.
(39) يُنظر: الكتاب: 433/4.
(40) يُنظر: الكلام إنتاجه وتحليله: 69.

(41) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 152.
(42) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس: 30.
(43) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: 89.
(44) يُنظر: موسيقى الشعر: 30.
(45) يُنظر: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير شريف استيتية: 174.
(46) يُنظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان حسن العاني: 50.
(47) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 217.
(48) يُنظر: ديوان امرؤ القيس: 115، ولسان العرب، ابن منظور(ت 711هـ)، مادة (ش ز ر).
(49) يُنظر: موسيقى الشعر: 145.
(50) التشكيل الصوتي في اللغة العربية: 115.
(51) علم أصوات العربية: 253.
(52) المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين: 42.
(53) علم الأصوات: 509.
(54) يُنظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، ط6: 509.
(55) يُنظر: الشوقيات، أحمد شوقي: 118/4.
(56) البيان والتبيين، الجاحظ(ت 255هـ): 67/1.
(57) أسس علم اللغة، ماريو باي: 40.
(58) يُنظر: شرح صحيح مسلم، النووي: 35/2.
(59) يُنظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: 39.
(60) المصدر نفسه: 39.
(61) يُنظر: العروض والقافية، عادل أبو عمشة: 179.
(62) يُنظر: همس الجفون، ميخائيل نعيمة: 12.
(63) في الميزان الجديد، محمد مندور: 49.
(64) يُنظر: علم اللغة المقارن مقدمة للقارئ العربي: 662.
(65) يدرس علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا)، الأصوات الكلامية في لغة معينة، ووظيفتها في إطار نظام تلك اللغة الصوتي، يُنظر: مدخل إلى علم الدلالة. فرانك بالمر، ترجمة: خالد محمود جمعة: 268.
(66) نظرة جديدة في موسيقى الشعر، علي يونس: 237.
(67) المصدر نفسه: 239.

المصادر والمراجع:

**القرآن الكريم**
1-أسباب حدوث الحروف، ابن سينا(ت 428هـ)، تحقيق: محمد حسن الطيان، ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحام، دار الفكر، 1983م.
2-أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
3-الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير شريف استيتية، دار وائل، عمّان ـ الأردن، 2003م.
4-الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007م.
5-البيان والتبيين، الجاحظ(ت 255هـ)، إعداد: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 2003م.
6-البيان والتبيين، الجاحظ(ت 255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.
7-التحفة السنية بشرح الأجرومية، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الإمام مالك، الجزائر، 199م.
8-التشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان حسن العاني، ترجمة: ياسر الملاح، جدة، النادي الأدبي الثقافي، 1983م.
9-التعريفات، للجرجاني (ت 816هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، 1969م.
10- التقانات الصوتية لدى الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية، انتصار سالم إبراهيم، دار وائل، الأردن، 2018م.
11- الخصائص، ابن جني (ت 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الهدى، بيروت ـ لبنان، 1952م.
12- دراسات في علم اللغة، قسم الأصوات، كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، 1971م.
13- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، 1970م.
14- دراسة لغوية لدلالية الصوت ودوره في التواصل، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو، مصر، 1992م.
15- ديوان امرؤ القيس، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

16- الرعاية لتجويد القراءة، مكي ابن أبي طالب القيسي(ت 437هـ)، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وتحقيق التراث، (د.ت).
17- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي(ت 466هـ)، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 1969م.
18- سر صناعة الإعراب، ابن جني (ت 392هـ)، تحقيق: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993م.
19- شرح صحيح مسلم، النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1929م.
20- الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
21- العروض والقافية، عادل أبو عمشة، مكتبة خالد بن الوليد، فلسطين، 1986م.
22- علم أصوات العربية، محمد جواد النوري، جامعة القدس المفتوحة، 1996م.
23- علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، سمير شريف استيتية، دار وائل، عمّان ـ الأردن، 2012م.
24- علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، 2004م.
25- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ)، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني، 1967م.
26- فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، ط6، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1999مخ.
27- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2003م.
28- في الميزان الجديد، محمد مندور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944م.
29- كتاب العين، 52/1، وعلم اللغة المقارن مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة، بيروت، (د.ت).
30- الكتاب، سيبويه(ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، 1969م.
31- الكلام إنتاجه وتحليل، عبد الرحمن أيوب، جامعة الكويت، الكويت، 1984م.

32- اللغة العربية معناها ومبناها، تمّام حسّان، دار المعارف، مصر، 1972م، والوجيز في فقه اللغة.
33- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري (ت324هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1950م.
34- منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري(ت 1435هـ)، المدينة المنورة، 1964م.
35- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، 1980م.
36- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1952م.
37- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(ت 833هـ)، دار الكتاب العربي، (د.ت).
38- نظرة جديدة في موسيقى الشعر، علي يونس، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
39- هداية الرحمن في تجويد القرآن، عبد الوهاب دبس وزيت(ت1389هـ)، اعتنى به: عبد الحميد محمد الدرويش، مكتبة مرزوق سوريا، 1428هـ - 2007م.
40- همس الجفون، ميخائيل نعيمة، دار نوفل، بيروت، 2004م.
41- الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشروق، بيروت، ط3، 1969م.

# The impact of Stringth and weak Point Factors over the Phonetic levels engineering

**A. Prof. Entisar. S. Ibrahim**

**Summary:**

Modern linguists believe that the study of Sound is the First step in any Lingual Study, because it deals with every unit of Language, including the Smallest, which is the Sound, Sound Represent the Crude material for human Speech. And hence Contributes in Crystallizing a new approach in Studying texts Criticism and achieving greater capacity to interpret textual Studies.